الحضور الفتجنشتايني في فلسفة الوضعية المنطقية

نقاز محمد رضا

جامعة محمد بن أحمد وهران 2

****

تاريخ الإرسال: 2018/04/11 **تاريخ القبول: 2018/06/16** **تاريخ النشر: 2018/06/30**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز معالم التأثر بين فتجنشتاين والوضعيّين انطلاقًا من إيمانهم بمبادئ مشتركة شكّلت الخلفية الفلسفية والقاعدية للوضعية المنطقية. وقد أدت الرسالة دوراً فعالاً، إذ فتحت للوضعية الجديدة آفاقاً مختلفة ومهدت لها الطريق للخوض في مجال الدراسات المنطقية واللغوية، بالإضافة إلى محاربتها للميتافيزيقا وتعويض اللغة العادية بلغة رمزية عن طريق مبدأ التحقق لإضفاء سمة الصرامة على الفلسفة.

الكلمات المفتاحية: التحليل؛ الوضعية المنطقية؛ الرسالة؛ مبدأ التحقق؛ الميتافيزيقا؛ اللغة الرمزية

Abstract:

This study aims to highlight the signs of influence between Wittgenstein and the positivists based on their belief in joint works that formed the background philosophical and fundamental of the logical posivitism. The tractatus played an important role which allow a new horizons of Neo-positivism logical. Furthermore, tractatus preapres the routing to be ingrated in the field of logical and linguistic studies as well as its fight against metaphysics through the principle of verification and compensation of the ordinary language by symbolic language to give the rigor of philosophy.

Kewords: Analysis, logical positivism, Tractatus, Principle of verification, Metaphysic, Symbolic language.

مقدمة:

إن معالجة المشكلات الفلسفية على أنها مشكلات لغوية على نحو ما فعل فتجنشتاين في الرسالة، يعدّ في حد ذاته تصوراً جديداً للفلسفة، إذ أعطى بعدًا مميزاً لفلسفة اللغة والذي ينسجم مع اعتقادات الوضعية المنطقية. إن أهم أساس انطلقت منه الوضعية الجديدة هو التحليل المنطقي للغة، باعتبار أن المشاكل الفلسفية في نهاية المطاف ما هي إلا مشاكل لغوية، إذ جعلت من مهمة الفلسفة كلها نقدًا للغة، بدليل أن اللغة العادية

ليست لغة منطقية، لهذا فإن النظام المنطقي هو الذي يمد اللغة بالقواعد الصارمة، وبالتالي لا يشوبها نوع من الغموض والالتباس.

وعليه فإن المهمة الأولى التي يتوجب على الفلسفة الاضطلاع بها، هي نقد اللغة، فهذه الفكرة ظهرت بشكل جليّ في مقدمة الرسالة، إذ وضعت اللغة العادية على محك النقد، وكان الهدف بطبيعة الحال، هو وضع الحدود الفاصلة بين المعنى واللامعنى والتطلع إلى لغة رمزية، لكن من هذا المنطلق قد نتساءل: إذا كانت الرسالة قد صرحت بالدعوة إلى لغة رمزية على غرار راسل، فهل انتهجت الوضعية المنطقية نفس المسار في تبينها لهذا النوع من اللّغة ؟ وما هي تجليات الحضور الفتجنشتايني في فلسفة الوضعية المنطقية؟

1. الرسالة وانعكاساتها على الوضعية المنطقية:

إن أفكار الرسالة ساهمت بشكل كبير في ظهور إحدى أكبر الحركات الفلسفية في القرن العشرين وبلورة أفكارها، ونقصد بها الوضعية المنطقية التي جعلت من الرسالة إنجيلاً لها[1]، باعتبار أن هذه الأخيرة فتحت الآفاق للوضعية المنطقية، ومهدت لها الطريق للخوض في مجال الدراسات المنطقية واللغوية، بدليل أن منهج التحليل المنطقي للغة الذي يهدف في جوهره إلى تحقيق ضوابط منطقية للمعنى هو في حد ذاته مشروع فتجنشتايني، لهذا يقول راسل: «هناك شخصية لها قدر من الأهمية بالنسبة إلى الوضعيين المنطقيين رغم أن صاحبها لم يكن عضوا في حلقة فيينا، هي شخصية فتجنشتاين»[2].

إن إطلاع الوضعيين المناطقة على "الرسالة المنطقية الفلسفية" كان بمثابة حافز دفعهم إلى الاهتمام بموضوع اللغة كأداة لمعالجة المشكلات الفلسفية الجمّة، ومن نتائج هذا الاهتمام هو اختزال مهمة الفلسفة الجديدة في نقد اللغة تماشيا مع طرح فتجنشتاين: «إن الفلسفة كلها عبارة عن نقد للغة»[3]. وبالتالي فإن الوضعية المنطقية الجديدة انطلقت من نفس المسلمة التي انطلق منها فتجنشتاين، والمتمثلة في أن كل شيء يختزل في اللغة فحتى المعطيات الحسية التي يتم ملاحظتها تختزل في لغتها، والمسماة بعبارات البروتوكول. من هذا المنطلق يمكن القول بأن الوضعيين المناطقة

[1] Rossi, J.G, La philosophie Analytique, p.u.f, 1ère éd, 1989, p 37

[2] راسل برتراند، حكمة الغرب،ج2، تر: زكريا فؤاد، عالم المعرفة، الكويت، العدد72،د(ط،ت)، ص 226.

[3] فتجنشتاين لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1968، العبارة 0031 .4، ص 83.

استعملوا تعاليم فتجنشتاين، وهذا من خلال تركيزهم على تحليل اللغة لتحقيق دقة عالية تتطلبها الصرامة العلمية في تشكيل النظريات العلمية. وعليه تعد الرسالة المنطقية كأرضية خصبة لمشاريع الوضعية المنطقية، بدليل أن فتجنشتاين عندما جعل من قضايا الميتافيزيقا شيئا خاليا من المعنى، كان لهذا الأمر بالغ الأثر على فلسفة الوضعيين المناطقة خاصة ألفريد جولز آير (Alfred jules Ayer) الذي يعد من أكبر الفلاسفة الإنجليز المعاصرين، ولم يكن أحد الأعضاء المؤسسين لدائرة فيينا، بل يعتبر أول من قدم حركة الوضعية المنطقية إلى الناطقين بالإنجليزية بكتابه الأول تحت عنوان: "اللغة والصدق والمنطق" « Language, truthand logic » سنة 1932.

وهكذا أعيد غرس الوضعية المنطقية في البلدان الناطقة بالإنجليزية والتي حمل لواءها على نطاق واسع في إنجلترا "آير"، فارتبطت الوضعية المنطقية مرة أخرى بالتراث القديم للتجريبية الإنجليزية التي اعتبرتها رائدة الفلسفة العلمية، حيث كان "آير"يدعو مثلهم إلى نظريتهم في المعنى ورفض الميتافيزيقا، وأن الفلسفة توضح أفكار وتصورات وقضايا، وليست إقامة نظريات تدّعي أنها تعطينا معلومات غير تجريبية عن العالم[1].

إذن يؤكد "آير" بأنه لا بد للفلسفة من أن تتخلى عن مهمة بناء المذاهب الميتافيزيقية، وأن تدع للعلم التجريبي مهمة البحث في الظواهر التجريبية، لكي تتفرغ هي بتحليل اللغة وإيضاح معرفتنا التجريبية، حتى تكشف لنا عن قيمة الصدق في التركيب اللغوي بالرجوع إلى إمكانية التحقيق التجريبي[2].

وفي نفس الإطار يوافق آير طرح الوضعية المنطقية في رفضها للميتافيزيقا، باعتبارها قضايا فارغة من كل معنى، لهذا فهو يؤكد بأن وظيفة الفيلسوف هي أن يلعب دور رجل شرطة فكري وظيفته منع العبور إلى الميتافيزيقا لهذا يقول آير:«إن كل قضايا الميتافيزيقا هي بالضرورة لغو فارغ لا معنى له، ما دام الهدف الذي ترمي إليه الميتافيزيقا هو أن تصف لنا حقيقة تكمن فيما وراء التجربة... والواقع أن هذا الذي لا تستطيع أية ملاحظة تجريبية أن تتحقق منه، هو مما لا يمكن اعتباره قضية على الإطلاق»[3].

---

[1] زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د(ط، ت)، ص132.

[2] إبراهيم زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، د(ط،ت)، ص 291.

[3] المرجع نفسه، ص293، نقلا عن:

Ayer.A.J. Language, Truth and Logic, Gollanz, London, 2éd, 1945, p 45

فالقضايا الميتافيزيقية هي - حسب آير - أشباه قضايا، لهذا يؤكد على "مبدأ التحقق" باعتباره المعيار الوحيد المحدد للمعنى.

ومن جهة ثانية استفادت الوضعية المنطقية - على وجه التحديد - من تصور فتجنشتاين للقضية، خصوصا وأن الوضعيين المناطقة فسروا كتاب "الرسالة" الذي ألفه فتجنشتاين، من منطلق وصفه المصدر الأساسي لأفكارهم، بدليل أن "شليك" قام بصياغة مبدأ التحقق متأثرا بفتجنشتاين وذلك بعد المحاورات التي دارت بينه وبين هذا الأخير في إطار دائرة فيينا[1].

ومن ملامح التأثر أيضا تمييز فلاسفة الوضعية المنطقية بين وظيفتين رئيسيتين للغة، إحداهما هي: **الوظيفة المعرفية** التي تستخدم فيها اللغة كأداة تشير إلى وقائع وأشياء موجودة في العالم الخارجي، ولا تزيد مهمة اللغة بذلك على أن تجيء تصويرا لهذه الوقائع وتلك الأشياء. أما الوظيفة الثانية للغة فهي **الوظيفة الانفعالية** ومفادها أن الإنسان قد يستعمل اللغة أحيانا للتعبير عن مشاعر وانفعالات قد تضطرب بها نفسه، كما هو الحال عند الشاعر مثلا، ويدخل في إطار هذه الوظيفة استعمالات معينة للغة تشغل بعض الفلاسفة وتتمثل في العبارات التي تعالج مسائل الأخلاق والميتافيزيقا والجمال[2].

إذن من خلال الوظيفة المعرفية للغة تظهر لنا "النظرية التصويرية" التي أشار إليها فتجنشتاين والتي نجدها عند الوضعية المنطقية من خلال نظرية التحقق، فالعبارات التجريبية هي العبارات ذات المعنى، بالإضافة إلى قضايا تحصيل الحاصل. أما عبارات الأخلاق والميتافيزيقا والجمال هي عبارات خالية من المعنى، بدليل أننا لا نجد لها مقابل في الواقع الخارجي، وبالتالي تتحدد مهمة العبارة ذات المعنى في وصف أو تصوير حالة من حالات الوجود الخارجي، ثم يأتي بعد ذلك الحكم على هذه العبارة إما بالصدق أو الكذب بناءً على قابلية هذه العبارة للتحقق التجريبي. وإذا أراد الفيلسوف أن يجعل من اللغة موضوعا لبحثه، فليس أمامه سوى اللغة التي تؤدي دور "الوظيفة المعرفية".

إن الوضعيين المناطقة قد نظروا إلى الوصف أو التقرير على أنه الوظيفة النموذجية الجديرة بالبحث الفلسفي، وحاولوا بالتالي أن يجعلوا من العبارة التقريرية قالبا تصاغ

[1] عبد القادر ماهر، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، د(ط)، 1985، ص 279

[2] عبد الحق صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص12.

فيه كل صور التعبير اللغوي، بحجة أن هذه العبارة هي وحدها ذات المعنى وفقا لمبدأ إمكانية التحقق للمعنى[1].

وحسب "مليكة ولباني" نلمس تأثير الرسالة على الوضعية المنطقية في أربع نقاط التقاء جوهرية والمتمثلة فيما يلي[2]:

أولا : المنطق خارج عن المعنى، بالنظر إلى أن قضاياه لا تقول شيئا بخصوص الواقع.

ثانيا : القضية يكون لها معنى، إذا كان للأسماء دلالة، وإذا كانت مركبة تركيبا صحيحا.

ثالثا : قضايا الميتافيزيقا ليس لها معنى لأن الكلمات التي تكونها ليست لها دلالة.

رابعا : التقسيم الثنائي الأساسي عند الوضعيين الجدد بين قضايا المنطق وبين القضايا التجريبية مصدره إذن الرسالة.

أما الأفكار التي استفاد منها أصحاب حلقة فيينا من الرسالة، فقد تفاوت تأثيرها من عضو إلى آخر أو من بعض الأعضاء إلى بعض الأعضاء الآخرين، وهذا ما أكد عليه "ألفريد جولز آير" في قوله: «إن "هانزهان" و"أتونويراث" أبرز أعضاء الحلقة يدينان لفتجنشتاين بخصوص اكتشافه المتمثل في أن قضايا المنطق الحقيقية هي تحصيل حاصل... بينما انضم "غودل" إلى "شليك" وإلى «كارناب" في تبني رأي فتجنشتاين في إدانة الميتافيزيقا، وفي رأيه في تعويض "الفلسفة التقليدية" بنشاط توضيحي»[3].

إن طرح آير بمثابة تصريح صريح يبين فيه مدى تأثر أعضاء حلقة فيينا أمثال هانزهان، أتونورات، غودل، شليك وكارناب بفلسفة فتجنشتاين سواء تعلق الأمر بقضايا المنطق، باعتبارها تحصيل حاصل أو ما يتعلق بمحاربتهم ومهاجمتهم للميتافيزيقا، باعتبار أن جميع قضاياها فارغة من المعنى. ومن ثم تعويض الفلسفة التقليدية بفلسفة تحليلية توضيحية بصورة خالصة، حيث أصبحت وظيفة الفلسفة هي التحليل والتوضيح المنطقي للغة والفكر.

---

[1] المرجع نفسه، ص 18.

[2] Mélika Ouelbani, Wittgenstein et la philosophie contemporaine, colloque du 03 et 04 mars, sous la direction de Mélika ouelbani, université de Tunis 1, 1989, p 70.

[3] Ayer.A.j. Wittgenstein, Trad: R. Davreu, éditions seghers, 1986, p 209.

وفي هذا السياق نجد حتى رودولف كارناب يقرّ بمدى تأثره بفتجنشتاين، وهذا ما يتجلى في قوله: «بالنسبة إليّ شخصيًا ربما كان فتجنشتاين الفيلسوف الذي له التأثير الأكبر في فكري، فضلاً عن راسل وفريجه» [1].

إن كارناب يرفض الميتافيزيقا ويتبرأ منها مثل فتجنشتاين وهذا ما يتجلى في قوله: «العوالم الممكنة هي العوالم المدركة بأوسع معنى للكلمة التي يمكن وصفها دون الوقوع في تناقض منطقي» [2].

إن فكرة كارناب هذه تعبر عن رأي كل أقطاب الوضعية المنطقية، فكل شيء لا بد التثبت منه بالتجربة. فالمفاهيم الميتافيزيقية لا معنى لها لعدم وجود معيار تجريبي لها، فكل شيء لا بد من التثبت منه بالتجربة، وإذا لم يثبت أنه موجود فإنه كلام لا معنى له.

إن كارناب بتصريحاته نجده يعترف شخصيًا بأن فتجنشتاين "الأول" من خلال مؤلفه الرئيسي: «رسالة منطقية فلسفية» هو الفيلسوف الذي كان له التأثير الأكبر على فكره وفلسفته، فضلاً عن راسل وفريجه. وهذا يعني أنه استلهم معظم منطلقات بحثه في مجال التحليل المنطقي للغة من الفلسفة الفتجنشتاينية.

لكن بالمقابل لا يمكن إنكار وتجاهل إسهامات كارناب في استبدال الفلسفة بمنطق العلم، وهذا من خلال المشروع الذي سارت عليه الوضعية المنطقية "النظرة العلمية إلى العالم، حلقة فيينا" لتحقيق وحدة العلوم.

2. الوضعية المنطقية واللغة الرمزية:

إن رودولف كارناب اعتقد منذ أبحاثه الأولى بأن المشاكل الفلسفية هي في نهاية التحليل مشاكل لغوية، بمعنى أن اللغة الطبيعية أو العادية التي نستعملها ليست لغة منطقية على الإطلاق، بل يشوبها نوع من الغموض والإلتباس، لذا فإن الشرط الأساسي للوصول إلى أي وضوح فلسفي هو تغيير اللغة التي نستعملها، أي أنه لا بد من استبدال اللغة العادية بلغة مثالية أي خالية من كل لبس، وهذه اللغة المثالية لا بد أن تكون مستقاة من المنطق الرمزي [3]، وفي هذا الإطار يقول كارناب: « إنه بواسطة اللغة الرمزية

---

[1] Carnap, R, Autobiography in 22 p.A. Schlipp, The philosophy of R.carnap, London cambridge university, press, 1963, p 25.

[2] كارناب رودولف، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر، السيد نفادي، دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت،ط1، 1993، ص 26.

[3] زناتي جورج، رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، 1993، ص 153

فقط تتم البرهنة على أنه من الممكن تحقيق صياغة دقيقة وبراهين دامغة»[1] .لهذا كان يهدف كارناب إلى تخليص اللغة من أغلال الميتافيزيقا من خلال اللغة المثالية.

إن سرّ تبني الوضعية المنطقية لّلغة الرمزية هو اندفاعها إلى دراسة النظريات العلمية في مجالات متعددة سواء في مجال الفيزياء، الرياضيات والمنطق. ففي حقل الرياضيات قام كارناب ببناء لغتين رمزيتين، تتضمن الأولى بديهيات وحساب القضايا وعلم الحساب، وتضمنت الثانية بديهيات أكثر من حساب القضايا، بحيث أصبحت اللغة الأولى جزء من اللغة الثانية.

أما في حقل العلوم التجريبية فقد اهتمت الوضعية المنطقية بالتحليل المنطقي للفيزياء، وبعبارة أدق لغة الفيزياء. وبهذا فان الطريقة العلمية المعروفة حتى الآن، هي الطريقة التجريبية والطريقة الرياضية، ولا توجد طريقة معترف بها في العلم غير هاتين الطريقتين، إذ لا يمكن اعتبار الطريقة التأملية الميتافيزيقية طريقا للعلم.

إن الوضعية المنطقية استمدت قوتها انطلاقا من تبنيها للمنطلقات الأساسية التي احتواها الميثاق العلمي "لجماعة فيينا"، والداعي إلى تخليص الفلسفة والعلم من كل المضامين الخالية من المعنى، وبناء لغة مثالية تواكب التطورات الهائلة التي حققها العلم التجريبي الطبيعي، والمتمثلة في اللغة الفيزيائية باعتبار أن هذه الأخيرة تبقى صالحة لكل العلوم التجريبية.

إن المشروع الذي انطلق منه كارناب يتمثل في استبعاد الميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقي للغة، وهذا يعني بأن تحليل اللغة هو الذي يضع الحد الفاصل بين ما هو مناسب وما هو غير مناسب من العبارات والألفاظ الخالية من المعنى .

إن مبدأ التحقق يعد كجزء لا يتجزأ من نظرية المعنى، وهذه الأخيرة عند الوضعية المنطقية تفرق تفريقا حاسمًا بين ما يحمل معنى نظري أو معرفي وبين الفارغ من المعنى النظري. وينقسم الخالي من المعنى النظري إلى ثلاث فئات فرعية:[2]

1- الخلو من المعنى (أي الكلام غير المفهوم كلية) مثل الكلام الذي يتفوه به الطفل متظاهرًا بالحديث.

[1] Carnap, R, The Logical Syntax of language, Trans, Amethe Smeatin, Routledage and Kagan LTD – London, 1971, p 03

[2] كارناب رودولف، الأسس الفلسفية للفيزياء، مصدر سابق، ص ص 10-11.

2- أساليب الكلام التي تخل بقواعد السنتاكس (أي قواعد بناء الجملة الصحيحة) مثل عبارة وردت في كتاب هيدجر "ما هي الميتافيزيقا" والتي تقرر أن "العدم يعدم نفسه"، فهذه العبارة تخطئ مرتين.الأول هي أنها تستخدم فعل "يعدم" وهو فارغ من المعنى، والثاني أنها تتعامل مع الكلمة "عدم" بوصفها اسمًا، وهي في الحقيقة مشتقة من فعل.

3- "الانفعالية" ويدخل تحت المعنى "الانفعالي" كل الجمل الميتافيزيقية، بالإضافة إلى الشعر والأخلاق المعيارية والدراسات الدينية.

وهكذا ظلت الوضعية المنطقية تؤمن بالدور الفعّال الذي يلعبه التحليل المنطقي للعبارات اللغوية لتحقيق المعنى، وتخليص الفلسفة والعلم من شوائب الميتافيزيقا. وعليه أصبح ينظر إلى الفلسفة من حيث مهمتها على أنها ضرب من العلاج اللغوي.

إذن للقضاء على العبارات الخالية من المعنى استعان كارناب "باللغة الشكلية" من أجل معالجة كل القضايا والمشكلات التي أراد اختبارها، وخلص إلى نتيجة مفادها أن كل العلوم يمكن ترجمتها إلى "لغة فيزيائية"، هذه اللغة التي تتمتع ببنية تمكنها من البرهنة على وحدة الأنساق المعرفية، مع استبعاد كلي للقضايا التي تقف في وجه المعرفة العلمية. ومن بين النتائج التي حققتها هذه الطريقة المنطقية اللغوية، استخراج الكلمات ذات المعنى التجريبي المرتبطة بمعطيات تمت ملاحظتها[1]. وهذه العبارات القابلة للتحقق التجريبي هي عبارات علمية، فمعيار العلمية يتحدد بمدى تحقق تلك العبارات تحققًا تجريبي.

لعلَّ إشكالية توحيد العلوم تمثل أحد الاهتمامات الجوهرية لدى الوضعيين المنطقيين متأثرين "بأرنست ماخ" عندما رفض الطرح القائل بأن علم النفس يتناول عالما باطنيا يختلف عن العالم الخارجي الذي يتناوله علم الفيزياء بالبحث والدراسة، لهذا السبب أكد كارناب بأنه يمكن إقامة لغة العلم على أساس فيزيائي، بدليل أنه حاول تطبيقه في مجال علم النفس، وهذا ما يتجلى لنا من خلال المقالتين المنشورتين عام 1932، المقالة الأولى بعنوان: "اللغة الطبيعية بوصفها اللغة الكلية للعلم"، وقد ترجمت إلى اللغة

[1] بغورة الزواوي، الفلسفة واللغة، نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، ط1، 2005، ص 90.

الإنجليزية بعنوان "وحدة العلم –The unity of science "، والمقالة الثانية بعنوان "علم النفس باللغة الفيزيائية - Psycology in physical language"[1].

وبهذا فإن أنصار الوضعية المنطقية يقرّون بأن هناك تقارب بين علم الفيزياء وعلم النفس، وبالتالي يمكن التوحيد بينهما، لهذا يحاول كارناب تطبيق المذهب الفيزيائي في مجال علم النفس، فنراه يقترح طريقة لتحويل قضية سيكولوجية مثل "يعاني جون ألمًا" إلى قضية تدور حول حالات يمكن ملاحظتها "لجسم جون" ويتضمن هذا، الأصوات التي تصدر عن "جون".

والحقيقة أن فكرة التحويل هذه تعد فكرة خصوصية، لأن تحويل القضية لا يشترط التكافؤ المنطقي مع القضية المحولة، ومن ثم فإن المذهب الفيزيائي عند كارناب لا يتطلب التكافؤ المنطقي للقضية "يعاني جون ألمًا" مع القضية "جسم جون في الحالة س"، يكفي أن يكون ثمة قانون فيزيائي يؤثر على شخص ما فيجعله يتألم[2].

وعليه فإن الوضعيين المنطقيين يقبلون بالمبدأ القائل بأن كلا من العلمين، الفيزياء وعلم النفس إنما يصف خبرات أو تجارب، الأمر الذي يجعل من هذا التوحيد أمرا ممكنا[3].

وهكذا دعت الوضعية المنطقية إلى أن تكون هناك فلسفة علمية، تكون مهمتها الأساسية توحيد العلوم وتخليص الفلسفة من كل غموض، وذلك عن طريق التحليل المنطقي للغة من أجل جعل الفلسفة تتميز بنفس خصائص المعرفة العلمية وهي الوضوح، الاتساق، الدقة والموضوعية.

إن كارناب يؤكد بأن تحليل مفاهيم العلم قد أسفر بأن جميع هذه المفاهيم سواء المتعلقة بالعلوم الطبيعية أو بعلم النفس أو بالعلوم الاجتماعية، إنما تعود إلى أسس مشتركة، إذ يمكن ردها إلى أفكار أساسية تتعلق بالمعطى الحسي. كما أن جميع الأفكار الخاصة بالعلوم الطبيعية يمكن ردها إلى أفكار تتعلق بخبرة الإنسان الذاتية، لأن كل ظاهرة طبيعية هي من حيث المبدأ، يمكن إثباتها بواسطة الإدراكات الحسية.

وهكذا ينتهي بنا التحليل المنطقي بمساعدة المنطق الحديث إلى العلم الموحد، فلا وجود لعلوم مختلفة ذات مناهج متباينة أساسا ولا وجود لمصادر متعددة مختلفة

---

[1] إسلام عزمي، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1980، ص 169.

[2] كارناب رودولف، الأسس الفلسفية للفيزياء، مصدر سابق، ص 13

[3] إسلام عزمي، مرجع سابق، ص 144

للمعرفة، بل هناك علم واحد فقط، فجميع المعارف تجد لها مكانًا في هذا العالم، والمعرفة في حقيقتها ذات نوع واحد، وما المظهر الخارجي للخلافات الأساسية بين العلوم، إلا نتيجة مضللة لاستخدامنا لغة فرعية للتعبير عن هذه العلوم[1].

ومن جهة أخرى يطالب كارناب باستعمال اللغة الفيزيائية حتى في العلوم الروحية وذلك حتى يكون من الممكن ترجمة الأقوال في هذه العلوم إلى أقوال يمكن الفحص عن صحتها تجريبيا[2]. هكذا اهتم كارناب بإعادة بناء أفاهيم كل حقول المعرفة بإدراجها ضمن سيستام أفهومي، بحيث تصبح كل الأفاهيم المستخدمة في العلوم المختلفة عناصر من بنية واحدة والهدف هو بناء العلم الموحد. ولضمان موضوعية هذا العلم، لا بد من استخدام لغة المنطق الرمزي كلغة أساسية للتعبير عن محتوى السيستام الذي يعتمد على الاكتشافات المادية للعلوم، فالطريقة الاشتقاقية التي يوفرها المنطق تستطيع أن تساعد في بناء المعرفة التجريبية على أسس متينة وواضحة، وذلك عن طريق اختيار بعض المفاهيم الأساسية البسيطة وتعريف المفاهيم المعقدة بواسطتها حتى يتم بناء المعرفة العلمية، شريطة أن لا يكون بين المفاهيم المشتقة، ومفاهيم النظريات العلمية الحديثة تناقض، بل على العكس يجب اشتقاق النظريات العلمية من قاعدة تجريبية معينة.

وعليه فإن الوضعية المنطقية اعتمدت على الطريقة الإستنتاجية والإستقرائية معًا. فاسم "التجريبية المنطقية" يشير إلى تلاقي حقيقتين هامتين تعتمد عليهما فلسفة جماعة فيينا: الحقيقة الأولى هي اهتمامها بالعلوم الرياضية والمنطقية. ومن هذين الاتجاهين تكون المدرسة في أصولها معتمدة على التحليل المنطقي للرياضيات والفيزياء، وهنا تكمن الحقيقة الثانية.

3. مبدأ التحقق بين فتجنشتاين والوضعية المنطقية:

في هذا السياق سنشير إلى أهم نقاط المقاربة بين فتجنشتاين في فلسفته الأولى والوضعية المنطقية حول إشكالية مبدأ التحقق. لقد أخذ مبدأ التحقق مكانة هامة في فلسفة الوضعية المنطقية، فقد اعتبرته كمعيار أساسي ومنهجي لاستبعاد الميتافيزيقا من المجال الفلسفي وبالتالي إضفاء سمة الصرامة على الفلسفة، ونفس هذا الطرح نجده عند فتجنشتاين في الرسالة من خلال إشكالية اللغة وعلاقتها بالواقع، وهذا ما نلمسه

[1] المرجع نفسه، ص 146

[2] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص251

في النظرية التصويرية، بحيث تهدف اللغة إلى تصوير الواقع الخارجي دون أن تضيف له شيئا، وبالتالي كل رسم يقابله شيء وهذا ما أكد عليه فتجنشتاين في عدة فقرات كقوله:«إن الرسم في حد ذاته واقعة»[1]. فالرسم له ما يقابله من وقائع في العالم الخارجي. فهناك شيء مشترك بين القضية والواقعة، هو الصورة المنطقية التي تؤدي إلى التركيب الحقيقي للواقع.

ويقول أيضا: «إن اللغة هي مجموع القضايا»[2] «والقضايا هي العناصر الأساسية لوصف العالم»[3]. فالقضية تكسب معناها بوجود القابلية للتحقق من وجود واقعة تقابلها عن طريق التجربة. وبهذا يشكل الواقع منطلقا أساسيا للتحليل في فلسفة فتجنشتاين، باعتباره مرآة تعكس ما يمكن قوله بوضوح، فهو ذلك المعيار الذي يعتمد عليه للتحقق من صدق القضايا اللغوية. وبالفعل قد شكل مؤلف الرسالة "التراكتاتوس" مصدر إلهام بالنسبة لأعضاء جماعة فيينا، بدليل اعتمادهم عليه في بناء الجزء الأكبر من فلسفتهم.

فقد أقرّ فتجنشتاين بأن معنى القضية يتحدد صدقها أو كذبها بمقارنتها مع الوجود الخارجي، وهذا ما يتجلى في قوله: «إذا كان الرسم (القضية) صادقا أو كاذبا يلزم أن نقارنه بالوجود الخارجي[4].

هكذا اشتركت الوضعية المنطقية مع فتجنشتاين في صياغتها لمبدأ إمكانية التحقق، حيث جعلوا منه المعيار المحدد والفاصل بين القضايا العلمية من جهة، والقضايا الميتافيزيقية من جهة أخرى. فحسب رأيهم أن هناك قطيعة تامة بين القضيتين، وقد قدم شليك أول صياغة محددة لمبدأ التحقق في عبارته المشهورة التي يقول فيها: «إنه حتى نفهم قضية ما ينبغي أن نكون قادرين على أن نشير بدقة للحالات الفردية التي تجعل القضية صادقة، وكذلك الحالات التي تجعلها كاذبة، وهذه الحالات هي وقائع الخبرة. فالخبرة هي التي تقرر صدق القضايا أو كذبها»[5].

---

[1] فتجنشتاين لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة 2.141 ص 68.

[2] المصدر نفسه، العبارة4.001 ص82.

[3] Wittgenstein, L, les cours de cambridge, (1930-1932), traduit par Elisabeth Rigal, édition trans, Europe presse, 1988, p25.

[4] المصدر نفسه، العبارة 2.223، ص 70

[5] نقلاً عن: عبد القادر ماهر، مشكلات الفلسفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د(ط)، 1985، ص112.

فصدق القضية أو كذبها يتحدد بمدى مطابقتها مع الخبرة. وعليه فإن مبدأ التحقق هو الذي يضفي على القضية معنى، والقضايا التي لا نستطيع أن نتحقق من صدقها أو كذبها هي قضايا فارغة من كل معنى، فهي أشباه قضايا على - حد تعبير كارناب - لأنها تحمل في طياتها تناقضات مع الواقع، لهذا ينبغي استبعادها فهي تخرج عن نطاق العلم ولا تفي بالغرض، فكل قضايا الميتافيزيقا ليست ذات أسس تجريبية كالعلوم الامبريقية مثل الفيزياء، ولا ذات أسس منطقية كالعلوم التجريدية مثل الرياضيات. فالقضايا الميتافيزيقية هي الأقوال التي لا تسندها التجربة أو لا تحتوي على معنى تجريبي ولا يسندها البرهان الرياضي.

ومن هنا جاء استبعاد قضايا الميتافيزيقا لأنها قضايا لا يمكن التحقق منها، ولا يمكن إثباتها بالتجربة الحسية لهذا يقول كارناب: «إن معنى القضية يكمن في منهج التحقق منها، فالقضية لا تقرر سوى ما يمكن التحقق منه بالنسبة إليها لهذا السبب فإنه لا يتسنى استعمالها إلا لتقرير قضية امبريقية، وكل ما يمكن - من حيث المبدأ- خلف نطاق الخبرة المحتملة غير قابل لأن يقال أو يفكر فيه أو يسأل عنه»[1]. فالقضية تكسب معناها بوجود القابلية للتحقق من وجود واقعة تقابلها عن طريق التجربة. لهذا يميز كارناب بين نوعين من التحقق:

الأول يتمثل في **التحقق المباشر (الكلي أو القوي)** وهو الذي يتم فيه البرهنة على صحة القضية أو فسادها بناء على الرجوع إلى الوقائع الملاحظة والخبرة الحسية. أما الثاني يتمثل في **التحقق غير المباشر (الجزئي أو الضعيف)** وهو الذي لا يمكن التحقق من صدق قضاياه أو كذبها مباشرة، وذلك لاعتبارات عدة أبرزها كون مضمون العبارة ميتافيزيقي ليس له دلالة حسية[2].

لكن الملاحظ أن تأثير أبحاث كارل بوبر على الوضعية المنطقية دفع بكارناب إلى وضع تصور جديد لمعيار المعنى التجريبي، حيث حدد مجموعة من القواعد والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. كل الأقوال التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقيق تحقيقا تاما، وهذا مبدأ التحقق التام.

---

[1] نقلا عن: مور آي جي، كيف يرى الوضعيون الفلسفة،، مختارات مترجمة من كتاب الوضعية المنطقية، ترجمة وتقديم: نجيب الحصادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الأفاق الجديدة، د(ب)، ط1، 1994، ص 165

[2] بركات لطفي أحمد، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، تقديم: زكي الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)،1968، ص 17

2. كل الأقوال التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأكيد تأييدا تاما، وهذا مبدأ التأييد التام.

3. كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقيق، وهذا هو مبدأ التحقيق.

4. كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد، وهذا هو مبدأ التأييد.

وفي كل الأحوال يجب أن تكون الصفات متعلقة بما هو قابل للملاحظة[1].

وفي ذات السياق فرق "آير" بين التحقق القوي والتحقق الضعيف، لكنه أخذ بمبدأ التحقق الضعيف، فأنكر على الخبرة المباشرة طابع اليقين المطلق على النتائج، وجعلها احتمالية. بيد أن "آير" قد عاد واعترف في الطبعة الثانية من كتابه "اللغة والصدق والمنطق" بأن تعريفه السابق للتحقق قد يفتح السبيل أمام أية عبارة ميتافيزيقية، أو أية جملة فارغة من المعنى، لهذا السبب وضع مجموعة من الشروط وهي كالتالي:

أولا: تكون العبارة قابلة للتحقق بطريقة مباشرة، إما إذا كانت هي نفسها قضية قائمة على الملاحظة، وإما إذا كانت من شأنها إضافة قضية أو أكثر من قضايا الملاحظة إليها أن تولد قضية واحدة على الأقل من قضايا الملاحظة.

ثانيا: تكون العبارة قابلة للتحقق بطريقة غير مباشرة إذا توفر فيها الشرطان التاليان:

– إذا ترتب عليها بالاشتراك مع بعض المقدمات الأخرى عبارة أو أكثر قابلة للتحقق بطريقة مباشرة، على شرط ألا تكون هذه العبارة أو العبارات مستخلصة من تلك المقدمات الأخرى وحدها.

– ينبغي ألا تشتمل هذه المقدمات الأخرى على أية عبارة لا تكون إما تحليلية، وإما قابلة للتحقق بطريقة مباشرة، وإما قابلة للإثبات في استقلال تام عما عداها بوصفها تقبل التحقق
غير المباشر[2].

إن هذه الشروط التي حددها "آير" والتي تعد كإضافة جديدة، إنما تهدف في مجملها إلى استبعاد العبارات الفارغة من المعنى، لأنها لا تخضع لإمكانية التحقق. ومن جهة أخرى تهدف هذه الشروط إلى ضمان إمكانية التحقق بالنسبة إلى قضايا العلم.

---

[1] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج2، ص125

[2] إبراهيم زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص295 - 296 نقلاً عن:
Ayer, Language,Truth and Logic, 2 ed, 1946, p13.

ومن ثم فإن الميتافيزيقا ثرثرة لفظية فارغة، لهذا سعت الوضعية المنطقية إلى تضييق نطاق الفلسفة بحصر مهمتها في ربط اللغة بالتجربة ربطا علميا، وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية باستخدام أسلوب التحليل المنطقي، وهكذا يقرن تأكيدها للملاحظة التجريبية بالأخذ بمبدأ قابلية التحقق الذي ينص على أن معنى القضية هو طريقة تحققها.

وفي الأخير نستنتج بأن الوضعية المنطقية أرادت تنقية الأرضية المفاهيمية من تلك الأفكار غير ذات المعنى، أي أن محتوى المعنى من العبارة يتطابق تماما مع الواقع الحسي. فمعيار التحقق هو مركز انطلاق فكرة الوضعية المنطقية للتمييز بين العلم واللاعلم، وبالتالي بين المعنى واللامعنى، فكل قضية تركيبية لا بد أن تكون تجريبية، فأي قضية لا يمكن التحقق من صحتها عبر التجربة الحسية تعتبر إنشاء بلا معنى لا يضيف للعلم شيئا.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، د (ط،ت)
2. إسلام عزمي، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1980.
3. بغورة الزواوي، الفلسفة واللغة، نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، ط1، 2005.
4. بركات لطفي أحمد، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، تقديم: زكي الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)،1968.
5. بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984.
6. راسل برتراند، حكمة الغرب، ج2، تر:زكريا فؤاد، عالم المعرفة، الكويت، العدد72،د(ط،ت).
7. زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د(ط، ت).
8. زناتي جورج، رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.
9. عبد القادر ماهر، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، د(ط)، 1985.
10. ـــــــــــــ،مشكلات الفلسفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د(ط)، 1985.
11. عبد الحق صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.
12. فتجنشتاين لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1968.
13. كارناب رودولف، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر، السيد نفادي، دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت،ط1، 1993.
14. مور آي جي، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، مختارات مترجمة من كتاب الوضعية المنطقية، ترجمة وتقديم: نجيب الحصادي،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الأفاق الجديدة، د(ب)، ط1، 1994
15. Ayer.A.j. Wittgenstein, Trad: R. Davreu, éditions seghers, 1986.
16. Carnap, R, Autobiography in 22 p.A. Schlipp, The philosophy of R.carnap, London cambridge university, press, 1963.
17. Carnap, R, The Logical Syntax of language, Trans, Amethe Smeatin, Routledage and Kagan LTD – London, 1971.
18. Mélika Ouelbani, Wittgentein et la philosophie contemporaine, colloque du 03 et 04 mars, sous la direction de Mélika ouelbani, université de Tunis 1, 1989.

19. Rossi, J.G, La philosophie Analytique, p.u.f, 1ère éd, 1989.

20. Wittgenstein, L, les cours de cambridge, (1930-1932), traduit par Elisabeth Rigal, édition trans, Europe press, 1988.